كرَّة... ككرَّة السابقين

أبو عبد الله المنصور

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨].

إيه يا أبا خيثمة! أما زلت تُعِدُّ العدة؟ أهو التردد بين الخروج والقعود، أم هو التثاقل؟

ها هو جيش العسرة قد خرج، وما زلت لم تقرر بعد؟

ها هو رسول الله ﷺ دخل صحراء الجزيرة متوجهاً نحو الدولة العظمى ـ الروم ـ وأنت لم تنته بعد؟

قد فارق الجيشُ المدينةَ ودخل في صحراء الجزيرة الصائفة، والشمس قريبة محرقة، والأرض ملتهبة كأنها المقلاة المحمية، والهواء سموم عاصفة، كأنَّ الحياة في الصحراء انقطعت، والسحالي اختبأت، بينما هِمم ذلك الركب المبارك تعالت وتعاظمت.

باعوا النفوس لربهم واستمسكوا
بكتابه... واستقبلوا الأهوالا
في شدَّة الصحراء في فلواتها
حملوا تكاليف الجهاد ثقالا
تُشوى على رمضائها أجسامهم
لكنهم لا يعرفون مُحالا
فامتد في شرق البلاد وغربها
نور تتيه به الحياة جمالا
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
أُسْداً تخلِّف بعدها أشبالا

إلى متى يا أبا خيثمة وأنت في مدينة رسول الله ﷺ، والمدينة بلا رسول الله ﷺ؟

يقول ابن الأثير: ثم إنَّ أبا خيثمة أقام أياماً، فجاء يوماً إلى أهله، وكانت له امرأتان، وقد رشَّت كل امرأة منهما عريشها وبردت له ماءً وصنعت طعاماً، فلما رآه قال: يكون رسول الله ﷺ في الحرِّ والريح، وأبو خيثمة في الظل البارد والماء البارد مقيم! ما هذا بالنصَف، والله ما أُحِلُّ عريشاً منهما حتى ألحق برسول الله ﷺ. فهيأ زاده وخرج إلى ناضحه فركبه، وطلب رسول الله ﷺ فأدركه بتبوك، فقال الناس: يارسول الله هذا راكب مقبل. فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة. فقالوا: هو والله أبو خيثمة. وأتى رسولَ الله ﷺ، فأخبره بخبره فدعا له(١).

نعم ليس جوَّك المدينةُ، ولا ذاك المقام مقامك؟

هيه أبا خيثمة: اخرج، فلأن تموت وحيداً في الصحراء وأنت تلحق برسول الله ﷺ خير لك من أن تموت وسط مجاميع المنافقين، وبين النساء والبساتين.

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/٢٧٨). وأصله في مسلم (٢٧٦٩).

أبعد الجهاد في سبيل الله يطيب لك الطيب، وتطيب لك النساء، أو يطيب لك الهواء، أو يبارك لك في رزق أو عطاء؟

أما نظرت أيها المجاهد حين رضيت بالقعود في الوجوه المتخلِّفة التي تحيط بك؟ انظر إليها وكفاك الجواب، بل كفاك العتاب!

رضي الله عنك يا كعب بن مالك، ما ألِفت نفسك تلك الوجوه طوال قعودك، وما تاب الله عليك بمجرد صدقك حتى كان ما كان.

رضي الله عنك يا كعب: فما برَّرت قعودك، ولا كذبت، وما انحدرتَ من القعود إلى النفاق، وإن انحدرت الجموع، فقلت بكل وضوح: (وكان من خبري حين تخلَّفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلَّفت عنه في تلك الغزوة، واللهِ ما جمعتُ قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدوًّا كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهَّبوا أُهبة غزوهم، فأخبرهم وجهه الذي يريد،

والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد بذلك الديوان). قال كعب: فقلَّ رجل يريد أن يتغيَّب، إلَّا ظَنَّ أنَّ ذلك سيخفى له، مالم ينزل فيه وحيٌ من الله عزَّ وجلَّ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصْعَر[١]، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت،لم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأُدركهم، فياليتني فعلتُ، ثم لم يُقدَّر ذلك لي، فطفقت إذا خَرَجْتُ في الناس، بعد خروج رسول الله ﷺ يحزُنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «مافعل كعب بن مالك؟». قال رجل من بني سَلِمة: يا رسول الله حبسه بُراده والنظر في عِطفه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! واللهِ يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأى

(١) قال النووى: أي أميل.

رجلاً مُبَيِّضًا يزول به السراب فقال الرسول ﷺ: «كن أبا خيثمة». فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري...)[١].

كن أبا خيثمة...

إيمانك لم يدعك تقعد...!

يا أخا العراق:

إلى متى تستطيب القعود في مجالس المعوِّقين، ومجاميع المنافقين، وتتعلل بعللهم.

وحولي أناس قساة القلوب

جفاة إذا ضحكوا أفزعوا

ليس لك إلا صدق كصدق كعب بن مالك، وكرَّة ككرَّة أبي خيثمة.

من لا يعرف وخز الإيمان في قلب صاحبه، وفي عصب إحساسه، وحركته، يقول: طُمس قلب الرجل! نافق الرجل، ويقول: قد استسلم المسلمون، واختنق الجهاد بالنفاق...

كم يتوهم هؤلاء الصليبيون حينما يظنون أنَّ أكوام

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

الـدولارات الـبـاردة سـوف تـطـفـئ ذرة الإيـمـان فـي قـلـب المجاهد؟

لا وربِّ محمد، ستبقى ذرة الإيمان تلك جمرة تتقد في القلب كما تتقد الجمرة بالوقود، وتفجر المؤمن غيظاً وبركاناً يذيب الطغاة المعتدين وأذنابهم من المنافقين.

فالنفس المؤمنة ترى أنَّ هذا العدوَّ إنما يفاوضها على مروءتها، ويماكسها في سعر دينها، ويساومها على عهدها مع الله، وبلدها، وعرضها...

فهل هذه الأشياء قابلة للتفاوض في عرف المؤمن؟

إنها ترى ذلك من العدوِّ وتعلم أنَّ الله السميع البصير يراها... يراها وهي تفاوض عدوه تفاوضاً غير شرعي! يراها وهي تتنازل، يراها وهي تقبض الثمن، فكيف لا تستحي من الله ﷻ؟

هي تفعل ذلك وهي تعلم أنَّ التاريخ يسجل عليها!

بل تقرأ الوجوه التي حولها وهي تحدثها بخيانتها من الآن كأنها تنطق بهذا، ولولا أنَّ الذلَّ والمشاركة في العطاء أسكتاها لأفصحت.

إنها تعلم أنها ستُفضح!

تعلم أنها أصبحت أداة مسخرة بطريق مباشر وغير مباشر بيد ألدِّ أعداء الله.

فأيُّ عدوٍّ للإسلام والمسلمين أشدُّ عداوة من أمريكا؟ أيُّ متلونة خبيثة مثلها؟

حديثها كذبٌ محضٌ، حقيقته
مأخوذةٌ من أباطيل الغرانيق
تباع في كلِّ سوق للضلال فلا
تسأل عن التاجر الكذاب والسوق
ولا تسل عن دنانيرٍ مزورةٍ
وعن عقود جرت من غير توثيق
وعن سماسرةٍ باعوا ضمائرهم
وذوَّبوا العقل في نار الأباريق
لها على منهج التضليل هَيْلَمَةٌ
وهيلمان، وقولٌ غير موثوق
خبيرةٌ في ادعاء العدل جاهدةٌ
في وصف آثاره من غير تطبيق
تبدي خصالاً من الإيمان كاذبةً
وفي مشاعرها إحساس زنديق

سمعت عنها حديث العاشقين لها
فاستفت عن عاشق لاهٍ ومعشوق
أتيتها فإذا همِّي يحاصرني
كأنني طائرٌ في بطنِ صندوق
يا همُّ قاسمتني ليلي سلكتَ إلى
أعماق نفسي طريقاً غير مطروق
من دَلَّ ركبك، من أعطاك تذكرةً
على (خطوطِ) الأسى القاسي لتطويقي
من هذه المرأةُ الشوهاء، أحسبها
وقد تراءت أمامي، شر مخلوق
بدت أمامي بسمتٍ لا نظير له
الوجه مستحدثٌ والعقل إغريقي
أجابني ساخراً مني: أتجهلها
هذي العظيمة ذات الخيل والنوق
هذي التي تتغنى بالسلام ولا
يهزها أن ترى مليون مسحوق
وتدعي أنها ترعى العباد، وكم
مجندلٍ بين رجليها ومخنوق

هذي التي يعرض الإعلام صورتها
فثوبها أسود الأكمام والزِّيق
وبيتها أبيض الجدران، كم عقدت
فيه اللقاءات نقضاً للمواثيق
لها جواسيسها في كل ناحية
فلا تسل عن إشاراتٍ وتحديق
ولا تسل عن سؤالات موجهة
إلى الضحايا وأوراق وتحقيق
تغزو الفضاء غروراً، لا تريد به
إلا التسابق في ملء الصناديق
هذي العظيمة ـ ياهذا ـ فألجمني
صمتي، وجفَّ لما أدركته ريقي
برئت منها ولن ترضى... تؤكِّدُ لي
أنَّ البراءة منها فعلُ صِدِّيق(١)

يا كعب: هل ترى في هذه الوجوه المنافقة العزاء عن تلك الوجوه النضرة المجاهدة؟ هل ترى منها العوض؟

(١) قصيدة «قراءة في وجه امرأة شوهاء»، للشاعر عبدالرحمن العشماوي.

إنما القلب هناك والقالب هنا، فرسول الله ﷺ يسأل عنك، بينما أنت قد ثقلت رجلاك عن الجهاد.

وفي هذه الأثناء يأتيك البلاء يا كعب، تأتيك الفتنة إلى موضعك، تأتيك الدنيا عند قدميك، فماذا أنت صانع؟ يقول كعب: (فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطيٌّ من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون إلي، حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أنَّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالْحقْ بنا نُواسِك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء، فتياممت بها التنور فسجرتها به)[1].

يا كعب: خبِّئ الرسالة لتقرأها على رويَّة! اترك للنفس فرصة للمراجعة! خبئها للزمن... ما يدريك؟ لا، لا تفاوض، لا رسائل، ولا ولائم، لا جلسات، لا خطط...

إنَّ الجواب هو التنور، وحصاد هؤلاء عندنا هو

(١) أخرجه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

الرماد! ارجع أيها النبطيُّ، ارجع أيها الأمريكي، وأخبر قومك أنَّ الطمع في هؤلاء محال، وأنَّ المتخلِّف منهم لا يتخلى عنهم، وإن ظهر لنا غير ذلك، فكيف بأهل الجهاد؟

عبادَ الله: إذا كان من له ثأر لم يهدأ لأنَّ الدم يجري في بدنه إلى دماغه كالنار، لا يطفيء نار ثأره شيء إلا الإيمان، والرضا بمغفرة الله وتعويضه، فكيف إذا كان الإيمان هو الذي يطلق نقمته ويفجرها، وهو يشعلها ويوجهها؟

وربنا ﷻ يقول: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة: ١٣-١٧].

أيُّ شيء يمكن أن ينسينا إهانة المصاحف، واستباحة المساجد، وهتك الأعراض العفيفة، وسلب البلاد، وسرقة الثروات، وقتل الأخ القريب والجار، وهدم الدار، وإعلاء الزنادقة وتسليمهم أمرنا، وسرقة نفطنا، وجعل العراق مركز نشر الكفر والعهر والردة إلى العالم الإسلامي!

أيها المجاهدون: قلَّ النصير؟ نعم قلَّ! قلَّ الإمداد؟ نعم قلَّ! كثر المنافقون؟ نعم كثروا! كثر المخذلون المبطئون؟ نعم كثروا!

لكنْ: هل الحل أن نلقي السلاح؟

هل الحل أن ندخل في مفاوضات غير شرعية؟

هل قبض الفلسطينيون شيئاً من التفاوض؟

ألم تستصعب على حملة الصليب الثورة الجهادية في الفلبين حتى أدخلوهم في مفاوضات، ذاك السلاح المجرَّب في كل مرة، فأجهضوا جهادهم وذهبت دماؤهم؟

سلوا العالم، سلوا التاريخ، متى ألقى المجاهدون السلاح ودخلوا في مفاوضات وقبضوا شيئاً؟

أبعد الجهاد وحسن البلاء يكون التفاوض؟

أبعد تقديم الشهداء تعودون؟ هل من بقعة في هذا

العراق إلا غرسناها بشهيد؟ لو قام الشهداء لتبرؤوا منكم أعظم براءة أيها المفاوضون المهادنون.

شهداؤنا في كلِّ شبر في البلاد يزمجرون
جاؤوا صفوفاً يَسألون
يا أيها الأحياء ماذا تفعلون؟
في كلِّ يوم كالقطيع على المذابح تصلبون
تتسربون على جناح الليل
كالفئران سرًّا للذئاب تهرولون
وأمام أمريكا تقام صلاتكم فتسبِّحون
وتطوف أعينكم على الدولار
فوق ربوعه الخضراء يبكي الساجدون
صورٌ على الشاشات
جرذان تصافح بعضها
والناس من ألم الفجيعة يضحكون
في صورتين تباع أوطان وتسقط أمة
ورؤوسكم تحت النعال وتركعون
في كلِّ شيء في الورى يتحكمون

لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص فإنكم

في كلِّ شيء خاسرون

لن يترك الطوفان شيئاً، كلُّكم في اليمِّ يوماً غارقون

تجَرون خلف الموت

والنخَّاس يجري خلفكم

وغداً بأسواق النخاسة تُعرضون

لن يرحم التاريخ يوماً من يُفرِّط أو يخون

نام الجميع وكلُّهم يتثائبون

فمتى يفيق النائمون

متى يفيق النائمون(١)

أيها المسلم: هب أنَّ الأبطال قتلوا، وما قتل أكثرهم والحمد لله.

هب أنَّ القيادات ارتدَّت لا قدَّر الله! وما ارتدَّت والحمد لله.

---

(١) صلاح الأمة في علو الهمة تأليف سيد حسين عفاني ٧/ ٣٤١-٣٤٢.

هب أنَّ رسول الله ﷺ هو قائدنا في معركتنا، وقد قتل في سبيل الله!

أتنقض العهود مع الله؟ أيُلقى السلاح، وندخل في التفاوض والهدنة؟

هذا سعد سيد الأنصار، سعدٌ الذي أثلج قولُه صدر رسول الله ﷺ يوم وقف النبي ﷺ يطلب كلمة يسمعها من الأنصار، وقف بعيداً عن المدينة ليس بينه وبين الأنصار عهد، فالعهد في حدود المدينة، وقف ﷺ ذلك الموقف والمدينة بعيدة، والعدوُّ كثير مدجج بالسلاح، وهو يقول: أشيروا عليَّ أيها الناس. فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا... وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ.

وفي رواية: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِيَّانَا

تُرِيدُ؟ فَقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ فَعَلْنَا، فَشَأْنَكَ يَا رَسُولَ اللهِ... وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ فَوَضَعَهَا، فَقَالَ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَالْتَقَوْا، فَهَزَمَهُمُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَوَاللهِ مَا أَمَاطَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ مَوْضِعِ كَفَّي النَّبِيِّ ﷺ[1].

وهذا أنس بن النَّضْر، وما أدراك ما أنس؟ أُشيع أنَّ رسول الله ﷺ قد قتل، فماذا صنع رضي الله عنه؟

تَقَدَّم من الصفوف الخلفية إلى منطقة الموت، فهذا أوان الوفاء بالعهد، وما بقي للانتظار من مبرر.

غبت عن بدر فشقَّ ذلك عليك، فأطلقت عهدك الشهير في كلماتك المختصرة: (لئن الله أشهدني قتالَ المشركين ليريَنَّ الله ما أصنع)[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٦٤٤)، وأحمد ٣/ ٢١٩، وأبو داود(٢٦٨١). وقول المقداد أخرجه البخاري (٣٩٥٢) بلفظ آخر.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، وأحمد ٣/ ٢٠١، والترمذي (٣٢٠١)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٩).

كلمة عهد قالها وأوجز، وعلم أنَّ الله شهد عليها، وما كانت الأيام تزيده إلا إصراراً واشتياقاً.

فماذا تراك صنعت يا أنس بن النضر؟

كيف تناوشتهم بسيفك الصاعق؟ كيف تعاليت على آلام الجسد؟ كيف لم تسقطك الطعنة والطعنتان والعشرة والعشرون؟ لم كلُّ هذا؟

هنالك كان الله ينظر لعبده أنس، وكان العبد كأنه يرى ربه سبحانه، فيبذل في ذاته، ويتقرب إليه ويقترب الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة، يتقدم يريد النظر لوجهه الكريم، هناك أصبح الجسد كله يشخب دماً لله، هناك يتلقاه الله فيجعل مأوى روحه عرشه الكريم.

إيه يا أنس بن النضر: لو علمتَ ماذا أعطاك الله؟ لقد ذكرك في القرآن الكريم، وأنزل فيك وفي أمثالك آية، ليتك قرأتها، لقد أصبح ذكرك خالداً بخلود القرآن فكلما قرأها واحد ذكرك وذكر أمثالك.

الموت حقٌّ، لكنْ أيُّ شرف أعلى وأحلى من هذا الشرف: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ

ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

يا شباب الإسلام في العراق: كرَّة ككرَّة أنس بن النضر، ووفاءً كوفائه رضي الله عنه، ولك نصيب في الذكر الحكيم، ألم يقل الله في المؤمنين عامة: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ...﴾؟ [الأحزاب: ٢٣].

إنهم باقون، باقون والله ما بقي الإيمان والرجولة.

يالخسارة من فاته التسجيل في صنفي الرجال في سجل هذه الآية!

أيها المعاهد ربه: إياك أن يذكِّرك الله يوم القيامة بخيانتك عهده، بكلمات قلتها لم يشهدها إلا الله، قلتها في جمع، قلتها في وحدة، قلتها في سجدة، قلتها في لحظة حماسة، في لحظة نقمة على عدوِّك، قلتها لله، وبردت اليوم.

عُدْ للعهد قبل أن يفوت، افعل ما تستطيع فعله، اكمن في النهار واطلع عليهم في الليل، نم بعض الليل وفجِّرهم مع الفجر.

لا تقولنَّ: ماذا يصنع دم علج واحد؟ هذا دمٌ يجري

هنا، وذاك هناك، وثالث ورابع... فلتجر دماؤهم ودماء زنادقتهم، ليجري الخوف بينهم ويهيج في قلوبهم كما تهيج النار في الهشيم.

فليكن عهدٌ بيننا وبين الله ﷻ أن لا ندع العدوَّ يستقرُّ، فلا تتمكن في لحظة غفلة منه إلا وأنفذت الحربة فيه... إلا وقعقعت برأسها عظامه إعلاءً لكلمة الله تعالى وفداءً لرسوله الكريم ﷺ ونصرةً لدينه العظيم.

فليكن عهدك أيها المسلم أن تجعل وظيفتك في العمل تَرَصُّدَ صيدك، وليكن موقعك ساترَك، وليكن بيتُك عرينَك، ولتكن ذاك الأسدَ الذي يثب في لحظة نقمة إلى موضع مقتل، فلا يترك فريسته إلا بعدما يقْطع عنها النفَس، ويُنشب الأنياب في الأوداج، فإذا الروح أُزهقت، وإذا الدم يسيح على شدقيه، وإذا أشباله يتراقصون على الفريسة.

وهاجت جيوش مسيلمةَ وسجاح وهَزمت المسلمين، حتى اجتاحت مواقع جند الله الخلفية.

الدين في خطر، الردَّة طار شررها! استحرَّ القتل في أفضل الناس ـ حملة القرآن ـ ! بلغ العدوُّ خيمة خالد! كادت تُقتل زوجهُ أمُّ تميم!

ماذا بعد هذا؟

صاح صائح المسلمين أيها الناس تمايزوا...

صال خالد وجال، وهاج سيف الله وماج، وأخذ يدعو للمبارزة يريد مسيلمة، فما قام له بطل إلا أكله، وما وقف في طريقه صنديد إلا فلقه، حتى ترك الأبطال صرعى، يشق طريقه نحو مسيلمة، يريد إنهاء المعركة على طريقته المعتادة، يبتغي تحمُّل أعبائها كلِّها لوحده، فلما رأى مسيلمة صولة الأسد وهول الطوفان، فسيفُ سيفِ الله يقطر من دماء قادته، رآه متجهاً نحوه يريده وحده من بين الناس، فرَّ مسيلمة وتبعه خالد حتى دخل مدخله، فارًّا إلى أجله المحتوم.

ثم قام البراء بن مالك، أخو أنس بن مالك، وكان إذا حضر الحرب أخذته حالة خاصة ينتفض وينتفض ثم يثور كما يثور الأسد، فلما رأى ما صنع الناس، أخذه الذي كان يأخذه، ثم وثب، (فقال: أين يا معشر المسلمين، أنا البراء بن مالك، هلم إليَّ، وفاءت فئة من الناس، فقاتلوا القوم حتى قتلهم الله، وخلصوا إلى محكِّم اليمامة ... فقاتل قتالاً شديداً، ورماه عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق بسهم

فوضعه في نحره فقتله، ثم زحف المسلمون حتى ألجؤوهم إلى الحديقة ـ حديقة الموت ـ وفيها عدوُّ الله مسيلمة الكذاب، فقال البراء: يا معشر المسلمين، ألقوني عليهم في الحديقة، فقال الناس: لا نفعل يا براء، فقال: والله لتطرحُنِّي عليهم فيها، فاحتُمِلَ حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار، اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة، حتى فتحها للمسلمين، ودخل المسلمون عليهم فيها، فاقتتلوا حتى قتل اللهُ مسيلمةَ عدوَّ الله، واشترك في قتله وحشيٌّ مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار، كلاهما قد أصابه، أما وحشيٌّ فدفع عليه حربته، وأما الأنصاريُّ فضربه بسيفه، فكان وحشيٌّ يقول: ربك أعلم أيُّنا قتله!)[1].

كَرَّةً كَكَرَّةِ البراء يا أهل العراق.

هل طابت لكم الحياة باغتصاب البلاد، وعلوِّ الصليب، واستباحة النساء، وطوفان الردَّة؟

هل طابت لكم الحياة بجموع الزنادقة والفاسقين المسماة بمجالس الصحوة، وشراذم البشمركة، وجموع المجوس؟

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٥١١.

إيـه يا جند مسيلمة! اثبتوا إن استطعتم الثبات! نعم، لكم الكَرَّة الأولى، لكن كَرَّتكم موجة سيبتلعها الطوفان الهادر، فلقد جاءتكم ريح تدمِّر كلَّ شيء بأمر ربها.

يا أهل العراق: اثبتوا... يا أهل العراق: كَرَّةً ككَرَّةِ خالد...

يا أهل العراق: جاءتكم الصيحة فتمايزوا، جاءتكم فعودوا أعادكم الله لطريق النصر.

جاءتكم الصيحة فأين صولة خالد؟ وأين انتفاضة البراء؟

انتفض أو مت إذا شئت شهيداً
فحديد الموت قد فلَّ الحديدا
فجِّر الأرض ودعها شعلةً
قطِّع الباغي وريداً فوريدا
دُسْ على هامات أذيال الخنا
بائعي الزور ولا تبق يهودا
سمِّها إن شئت عنفاً أو فداءً
أو قصاصاً أو دفاعاً أو صمودا
أيها المسلم أطلق صرخةً
تضع الحاملُ بالهول الوليدا

يا شهيد الحق أيقظ أمتي
فالإذاعات غناء ونشيدا
خُذْ دمي حبراً وجِلْدي دفتراً
واكتبَنْ فيه خلوداً يا شهيدا

صيحةً كصيحة العباس تحملها الريح إلى القلوب الطاهرة، في الأبدان النافرة، فتعيد الكَرَّة إلى من لم يتعودوا الفرار ولم يعرفوه، إلى من يبذل الروح في مواطن بذلها.

قال أبو إسحاق: سمعت البراء وسأله رجل: أكنتم فررتم يا أبا عمارة يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولَّى رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شبان أصحابه وأخِفَّاؤهم حُسَّراً ليس بسلاح، فأتوا قوماً رماة، جَمْعَ هوزان وبني نصر، ما يكاد يسقط لهم سهم، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هنالك إلى النبي ﷺ وهو على بغلته البيضاء وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل واستنصر، ثم قال: (**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**)، ثم صفَّ أصحابه[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٣).

يا أهل الإسلام، يا أهل العراق: دين الله في خطر!

أمة الإسلام تُغزى من بلادنا!

قاعدة الصليب أصبحت بلادنا!

رياح التغيير على مفاصل الدين والأمة تؤتى من قبلنا!

بئس حَمَلة الدين نحن إن لم نقاتل أعداء الله جلَّ وعلا!

يا أهل العراق: ذرةُ غيرة ترِثونها من غيرة محمد ﷺ تجري في العراق كافية لتطلق الطوفان!

ذرَّةٌ من غيرة الصديق كافية لتكتسح راية الصلبان وموجة الردَّة.

قال أبو بكر رضي الله عنه: (والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها)[1].

كرَّةَ صدقٍ يا أهل العراق، وأولُ الكَرَّة وقفةُ صدق، ووقفةُ محاسبة ترى فيها أنَّ الله عزَّ وجلَّ يراك، ويسمع حديث نفسك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٣٢)، وأحمد ١/ ١٩، وأبو داود (١٥٦٦)، والترمذي (٢٦٠٧)، والنسائي ٥/ ١٤.

فحذار أن تحاسب نفسك محاسبة العباد لك، وقبولهم اعتذارك لعدم علمهم بما وهبك الله من قدرة، وتظن أنَّ ذلك كاف لنجاتك عند الله، فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨].

إياك أن تكون محاسبتك لنفسك بقدر علم العباد عن قدرتك، ولكنْ حاسبْها بقدر علم الله عن قدرتك وعلمك، فهو الذي يوقف العبد أمام نفسه فيقول له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤].

إياك أن تظن أنَّ الجهاد وظيفة تكفَّل بها من يسمَّون بالمجاهدين، ولا علاقة لك بها كمسلم إلا سماع الأخبار أو الدعاء أو التعاطف فحسب، فالله قد خاطب المؤمنين كافةً ممن هم أهل الخطاب فقال: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٩].

أيها المسلمون: هل إذا صلى فلان جماعة سقطت الفريضة عنكم كأفراد؟

هل إذا غرق جماعات من الأطفال وتمكن مسلم من

إنقاذ طفل منهم سقط عنكم الواجب، والله يعلم إنكم قادرون على الإنقاذ؟ بل هل يسقط الواجب كله عن ذاك الذي أنقذ واحداً، والله يعلم أنه قادر على إنقاذ أكثر من واحد؟

وإذا عذر اللهُ الصادقين من المجاهدين، فمن يعذر القاعدين إن كنت منهم، والحال لا يخفى والعدوُّ لا يزال جاثماً؟

كيف النجاة من حساب الله إذا كنت تعلم نقطة ضعف الزنادقة أو الصليبيين فتكتمه عن المجاهدين ولا تُبلِّغ به؟

كيف النجاة من حساب الله إذا علم الله أنك تعرف مقتلاً للعدو في المجال الذي أنت فيه ثم تخفيه عن المجاهدين؟

بم تجيب الله عزَّ وجلَّ؟

بم تجيب الله وهو يعلم أنك عالم بسلاحٍ فاتكٍ موجودٍ في مكان كذا وكذا ولم تظهر سرَّه للمجاهدين؟

بم تجيب الله وهو يعلم أنك تعلم بطريقة تصنيع سلاح يفتك بالأعداء فتكاً، أو بخطة محكمة توقع الأعداء في الفخ القاتل، ولم تخبر بها المجاهدين؟

لا تعتذر بتقصير فلان وفلان، فلن ينجيك هذا الاحتجاج، وربُّ العالمين يقول: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة: ١٠٠].

لا تعتذر، فتقول: لو قام الجميع بدوره لما بقي العدوُّ في بلادنا، فهذا هو الذي نقوله: لو قام الجميع بدوره واللهِ ما استقرَّ العدوُّ في أرضنا، لكنَّ الإثم العظيم العميم الذي يكتسبه كلُّ متخلف عن دوره هو مجموع آثام المتضررين بالاحتلال الصليبي للعراق وآثاره على مستوى الأمة، مع مجموع أيام بقاء آثاره إلى يوم القيامة بقدر مشاركته في كلِّ ذلك، فأيُّ صحيفة تحتمل هذا؟

ولا نجاة من هذا إلا بالإعذار إلى الله والقيام بما يعلم الله أنك تستطيعه.

يا شباب الإسلام في العراق: هل إذا ضلَّ أناس فكفَّروا إخوانهم واستباحوا دماءهم ودماء العلماء والأبرياء عادينا المجاهدين أجمعين؟

ثم هل إذا خنع أناس وألقَوْا السيف وأخذوا في التفاوض والهدنة ركضنا وراء من يركض وراء الدنيا؟

في كلِّ أمر تذكَّر جيداً محاسبة الله العليم الخبير، وأنه لا ينجيك إلا الصدق: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: ٨].

إنَّ الواجب هو أن تَحمل من اليوم همَّ نجاتك بقيامك بدورك الذي لا ينجيك منه إلا إشهاد الله أنك قمت بما تستطيع.

تحمَّل همَّ الأمر، وليستغرقْ عليك تفكيرك على وسادتك، بل ليؤرقْك في ليلتك عند استيقاظك وعند مخالطتك الناس، وعند رؤيتك العدوَّ يتقلب في البلاد، وأنت في هذا الحال تشهد الله مفكِّراً باحثاً عن طريق نصر أن يا رب: كلُّ ذلك لأجلك وغيرةً على دينك، يارب: لن يهدأ لي بال حتى تفتح لي باباً.

تسأل الله مضطرًّا متضرِّعاً... يا رب هب لي فكرة الفتح.

يارب عرِّفني بنقطة ضعف العدوِّ ومكمن قتله.

يارب مكنِّي كي أكسر رأسه أو آتي به إلى أسره.

يارب مكنِّي كي أخرجهم من هذه الحصون إلى العراء ونحصدهم حصداً.

ليس أقلَّ من هذا ينفعك، إذ ما عذر من لم يفكر؟

ما عذر من يعجز حتى عن الدعاء؟

ما عذر من يعرف سرَّ العدوِّ ومكمنه ثم يكتمه؟

ما عذر من يحافظ على سرِّ مقتل العدوِّ ويحافظ على حياته؟

كما امتدح الله صاحب موسى الذي أبلغه بالاتفاقية السرية على قتله، فإنَّ من يخلُفه يستحق مدح الله إذا بلَّغ المجاهدين بسرِّ أعداء الله.

الأمر أمر الدين؟

الصراع صراع الكتاب والسنة مع الصليب؟

الإرث إرث أجيالٍ مِن بعدِنا؟

لا تتخلف بحجة أنك لا تستطيع أن تنفِّذ الفكرة أو لا تستطيع أن تبلِّغ الخبر.

بلِّغ الفكرة إلى أهلها تغذِّ سير الجهاد وتنفخ فيه روحاً جديدة، فالهدهد أتى بخبر عرش بلقيس، والذي عنده علم الكتاب أتى بعرشها.

النبي ﷺ يقول لأصحابه: من يأتيني بخبر القوم وله الجنة؟

هو يريد الخبر فيقول ﷺ: قم يا حذيفة، ولا تُحدِثْ شيئاً.

فعن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد. قال: والله لو أدركَنا ما تركناه يمشي عل الأرض ولجعلناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلَّى رسول الله ﷺ من الليل هويًّا ثم التفت إلينا فقال: من رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ـ يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع ـ أدخله الله الجنة؟ فما قام رجل، ثم صلَّى رسول الله ﷺ هويًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال: من رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة ـ أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة، فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون، ولا تُحدِثَنَّ شيئاً

حتى تأتينا. قال: فذهبتُ ودخلتُ في القوم، والريحُ وجنود الله تفعل ما تفعل، لا تقرُّ لهم قِدْرٌ ولا نار ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر أمرؤ مَن جليسه. فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قِدْرٌ ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جَمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاثٍ فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ لا تحدِثْ شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم. قال حذيفة: ثم رجعتُ إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرجَّل، فلما رآني أدخلني إلى رحله وطرح عليَّ طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه، فلما سلَّم أخبرته الخبر. وسمعتْ غطفان بما فعلت قريش وانشمروا إلى بلادهم[1].

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٧٤)، وصححه شعيب.

أيها المتفرجون على الإفرنج والمتفرنجين: إلى متى تنتظرون؟ أم أنكم عازمون على توريث الكفر والردَّة والذلِّ لأجيالكم؟

إن لم يكن في بلدنا هذا اليوم جهاد، فأين يكون؟

إن لم يكن الجهادُ فرضَ عينٍ على أهل العراق، فمتى يكون؟

لا بدَّ من الكَرَّة على القيود التنظيمية الحزبية التي كبَّلت عزائم الرجال وهممهم.

فمتى نقدِّم مصلحة الإسلام على مصلحة الحزب؟

متى نطبق قول النبي ﷺ: (لا طاعة في معصية الله)[1]، إن لم نطبقها اليوم مع قادة الجماعات التفاوضية والأحزاب البرلمانية؟

أليس ترك جهاد المحتلين معصية كبيرة؟

إلى متى تخاف الضَّياع على العيال، ومن خرج للجهاد فهو في ضمان الله؟ ثم ألا تظهر ثقتنا بقَسَم الله سبحانه:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (٤٧٩٣)، وأحمد ١/ ٨٢، وأبو داود (٢٦٢٥)، والنسائي ٧/ ١٥٩.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

متى نحقِّق مقتضى معتقدنا بأنَّ آجالنا وحياة عيالنا وأرزاقهم بيد الله؟

فمتى أيها العراقي؟ متى؟

لماذا رهبت نزال الرجال
وأنت المحنَّك والحاذق
لماذا ذرفت دموع الخنوع
وأنت المبرز والسابق
لماذا سلكت دروب الظلام
ودربك في نوره يفرق
لماذا ركنت لدنيا الزوال
ترقِّع فيما غدا يخرق
فكن يا أخي زفرة تحرق
وكن يا أخي لفحة تصعق
فكن فيهمُ مثل ليث هصور
يغير ويمرق لا يَفْرَقُ
أتخشى الرجال وفقر العيال
فربُّ العيال هو الرازق

وعــمــرك رهــن لــمــوت قــريــب
فــإن جــاء فــي حــيــنــه تــزهــق
يــســاق الــجــبــان لــذلِّ هــوان
وســيــف الــصَّــغــار لــه ســائــق
ومن يـمنع النفس جبناً وخوفاً
تــمــتــه الــمــنــون ولا تــشــفــق

قطِّع القيود يا أبا محجن، كيف تطوِّقُ الأغلالُ همَّتَك وصولة الميدان بجوارك تطنُّ أذنيك ؟

كيف تطيق أن ترى هزيمة المسلمين وعلوَّ المجوس في أرض العراق، حتى وإن كنت شرَّاباً للخمر، فأنت مسلم وهؤلاء مجوس؟

فعن ابن سيرين قال: كان أبو محجن الثقفي لا يزال يُجلد في الخمر، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون فكأنه رأى أنَّ المشركين قد أصابوا من المسلمين فأرسل إلى أمِّ ولد سعد، أو إلى امرأة سعد يقول لها: إنَّ أبا محجن يقول لك إن خلَّيت سبيله، وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً ليكوننَّ أولَ من يرجع إليك إلَّا أن يقتل وأنشأ يقول:

كفى حزناً أن تلتقي الخيل بالقنا
وأُتـرك مـشـدوداً عـلـيَّ وثـاقـيـا
إذا قمت عنَّاني الحديد وغلِّقت
مصاريع دوني قد تصم المناديا

فذهبت الأخرى، فقالت ذلك لامرأة سعد فحلَّت عنه قيوده، وحمل على فرس كان في الدار وأُعطي سلاحاً، ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدق صلبه، فنظر إليه سعد فجعل يتعجب منه ويقول: مَن ذلك الفارس؟ فلم يلبثوا إلَّا يسيراً حتى هزمهم الله، ورجع أبو محجن وردَّ السلاح، وجعل رجليه في القيود كما كان، فجاء سعد فقالت له امرأته أو أمُّ ولده: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها، ويقول لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق، لولا أني تركت أبا محجن في القيود لظننت أنها بعض شمائل أبي محجن. فقالت: والله إنه لأبو محجن، كان من أمره كذا وكذا، فقصَّت عليه قصته، فدعا به وحلَّ قيوده. . .فلم يشربها بعد ذلك(١).

كرَّةً عراقية إسلامية تخترق كلَّ المجالات الجهادية.

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١٨/٤.

كـرَّةً كـكَـرَّة أبـي مـحـجـن، فـمـن رحـمـة الله أن قـال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة: ٤١].

سمعتها أجيال الأمة فاحتملت نفسها، وكرَّت بما تستطيع جيلاً بعد جيل.

انفروا يا أصحاب الأقلام بأقلامكم ... انفروا يا أصحاب الحضِّ والحثِّ، وإن خشيتم من الإعلان فالحضُّ ولو بالخفاء ... لئلا يموت الحق، أو تموتوا فتلاقوا الله والحجة عليكم قائمة.

انفروا يا أصحاب المال، فمَن منكم ناصف لله ماله؟ مَن منكم أنفق عشر ماله الكثير؟ مَن منكم اقتطع من ماله شيئاً للجهاد؟

انفروا يا آحاد العراقيين من كلِّ موقع وتعاهدوا وتعاقدوا، ولو كنتم اثنين أو عشرين أو مئة مبايعين الله سبحانه على العمل الطويل العظيم، وإياكم أن يجرفكم الغلاة في صولة الحماسة أو يمنعكم المنافقون في تثبيط الشيطان.

ابتدؤوا صادقين ولا تُرهبنَّكم الحصون والسدود فإنَّ الله سوف يجعل لكم مخرجاً.

منعوك يا أبا بصير من البقاء عند رسول الله ﷺ؟ أخذوك يا أبا بصير إلى أهلهم وشركهم؟

سترون ماذا يصنع بكم مسعر الحرب هذا، ستبصرون قريباً أيَّ مهلكة تسلكون على يد أبي بصير، فلتكن الجبال هي المقرّ يا أبا بصير، وليكن ذلك مأوى من لا مأوى له من أمثالك، وليكن الليل هو الستار، ولتكن البراري هي الميدان، ولتفتح العيون وسط ظلام الليل، ولتكن الكَرَّة كلما كَرَّ الليل والنهار.

لقد قطع أبو بصير رضي الله عنه وصحبه قريشاً عن العالم، فخنعت قريش وجاءت راغمة ذليلة تطلب من رسول الله ﷺ أن يوقف أبا بصير.

فهل من صحب لك يبايعونك على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ فالتجديد لمنهج أبي بصير فيه الفتح المبين بإذن الله.

أيها المسلمون أيها العراقيون: من لم يحمل بنفسه، ولم يجاهد بماله فلا يكوننَّ من المبطِّئين ولا يكوننَّ من المخذِّلين المعوِّقين.

ووظيفة هؤلاء المعوِّقين مضادَّة لحكم الله، فإياك أن تكون منهم، إذ الله يأمر وأنت تنهى! الله يحضُّ وأنت تخذِّل! والله يُرغِّب وأنت تُكرِّه! والله يُقسِم وأنت تشكك! الله يشتري وأنت تفسد!

ألا تخشون الله أيها المخذِّلون؟ أما يكفي قعودكم قعود النساء حتى زدتم على هذا التخذيل والتعويق؟

أيها المسلمون، أيها العراقيون: أتحسبون أنَّ كرَّة المؤمنين ذهبت مع الأولين؟

لا والله نحن لا نيأس من هذه الأمة، إنما هي التذكرة تعقبها الكَّرة، والصيحة فينا تعقبها النائحة فيهم.

إخواني الكرام:

يقولون: إنَّ قبيلة عربية اشتهرت بالبخل، فعزم رأس القبيلة أن يُزيل هذه الوصمة عن جبين قبيلته، فتعاهدوا على أن يكون مسح العار ذلك في أعظم اجتماع للقبائل العربية، فكان الاختيار على موسم الحج.

وجاء الموسم ونادى منادي القبيلة: إنَّ إفطار الحجيج عندنا في الغد. وأعدَّت القبيلة حوضها الكبير لملئه باللبن لإفطار الحجيج، فقال الرئيس لهم: كلٌّ واحد يأتي بكوز

واحد ويفرغه في الحوض ليلاً، وفي الصباح سوف نغسل عار البخل عن قبيلتنا إلى الأبد. وبعدما انقشع الظلام واجتمع الناس رأوا حوضاً مليئاً بالماء! إذ كان كلُّ واحد في القبيلة البخيلة يقول: وما يضرُّ كوز ماء آتي به في حوض لبن؟ فخُتمت هذه القبيلة بهذا العار إلى يوم القيامة.

كلُّ من لا يحمل كوز اللبن ليلاً إنما يَصِمُ قبيلته بالخزي الذي لن يستره ظلام الليل، فالفجر سيطلع مهما طال الليل.

كلُّ من لا يحمل الجهاد في سبيل الله هموماً يعانيها، وأسراراً يبلغها، وأفكاراً يوصلها، وإمدادات يتسلل بها، وأموالاً ينفقها، وأعمالاً يؤديها فإنه إن لم يفعل ذلك وهو قادر فإنما يَصِمُ بلده وجيله وعشيرته بوصم الخزي الذي سوف يكشفه الفجر القريب.

كلُّ من زيَّنت له نفسُه أنه في خدمة بلده، فألقى السلاح وأخذ بمفاوضة الصليبين، أو أخذ السلاح ووقف في وجه أيِّ صنف من المجاهدين ولو كان من أهل الغلو، أو عمل أيَّ عمل فيه تمكين للصليبيين وزيادة أمنهم في بلاد الإسلام والمسلمين، فإنَّ مثله ليس كمثل أبناء تلك القبيلة

التي حملت كيزان الماء بدل اللبن، وإنما مثله كمثل مَن حملوا كيزان السموم وأفرغوها ليشرب منها الحجيج.

كرَّة تعيد إلى الكتاب والسنة ذاك الذي حمل السلاح على أهل العراق الأبرياء، أو كفَّرهم أو استباح دماءهم بغير حق، تعيده للحق، وتعيد به إخوانه الذين معه.

فإنكم لو تصورتم الجهاد في العراق بغير هذا الفكر المغالي، كيف سيكون التئام الناس على أبنائهم؟ كيف ستكون وحدتهم؟ كيف ستغدو الأجيال وارثة الجهاد الصحيح؟ كيف سيكون العلم الصحيح والدليل الصحيح هو المنهج لا الهوى ولا حُبَّ الانتقام؟ فاللهم اهدهم وعلِّمهم.

هكذا نشترك جميعاً في تمكين عدوِّ الإسلام الأعظم في الدنيا حين نمكِّنه في هذه البلاد المسلمة، ونمكِّن المجوس وممثليهم، وهكذا يشترك المشتركون في الوزر كما يشتركون في استعباد اليهود والنصارى لأجيال المسلمين، ويشتركون في التمهيد لتوسيع الاحتلال الصليبي المجوسي لدولة إسلامية أخرى؟

يجب أن يَنظر كلُّ قادر على فعل شيء، قاعد عن فعله، متخلٍّ، ساكت، سلبيٍّ، منسحبٍ، أنه آثم، ويجب

عليه أن يتوب، وتوبته أن يشارك مشاركة جهادية، وأن يستغفر ربه وأن يعزم على أن لايعود لذنبه أبداً، وأن يندم على ما سلف منه من تفريط.

لا نجاة لنا بعد هذه الفترة إلا بكَرَّة جديدة لمن كان عنده الذرة الأخيرة من الإيمان فما فوق، أيًّا كان مقامه، وأيًّا كان مكانه.

كرَّة صدق تعيد من جاهد مرَّة وتوقَّف.

كرَّة تُرجع من مشى مع العدو خطوة أو خطوتين، بل مرحلة أو مرحلتين، بل سنة وسنتين.

كرَّة تنهض نائماً عن العمل الجهادي وتقيمه من لحظته، أن أدِّ دورك الذي تقدر عليه.

كرَّة تجعل صاحب المال يفرُّ من البخل على الجهاد فرارَه من النفاق الذي وصم الله به من بخلوا من قبل.

كرَّة تجعل كلَّ واحد من هؤلاء وغيرهم يفرُّ من إثمه فراره من الدرك الأسفل من النار.

كرَّة تجعل صاحبها ينفر من كلِّ من يُعوِّقه عن دوره في الجهاد، ويقوم هو بدوره حتى لو لم يلحقه أحد، ويقول: سوف أقوم بدوري ويكفيني أن يلحقني آخرون من ورائي

بإذن الله، مستذكراً قول الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤].

كرَّة تجعل كلَّ واحد يتخلى عن أنانيته، وينظر إلى أبعد من يومه، ويحنُّ على من بعده، فتتشرف به وبصنيعه الأجيال، فكلُّ يوم نتخلى فيه عن دورنا يطول فيه عمر ليل أجيالنا أكثر فأكثر.

فوالله إنَّ كرَّة واحدة ولو طال وقتها، كرَّة تتمدد ولا تتوقف، تَعُمُّ وتُصِمُّ وتَطُمُّ، سوف نعذر فيها إلى الله لو رحلنا، ونؤدي الأمانة صفحة بيضاء لأجيالنا إذا غادرنا، وسوف ينقشع عن بلاد الإسلام الظلم كما ينقشع الظلام بطلوع الفجر، وإنا لنراه قريباً بإذن الله.

الفخر لمن كرَّ، والعزُّ لمن بادر، وسوف يرى الناس تلك الكَرَّة الموعودة بإذن الله.

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد...

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد...

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد...

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

